

لؤلؤة الصباح

كامل كيلاني



لُؤْلُؤَةُ الصَّبَاحِ

لُؤْلُؤَةُ الصَّبَاحِ

تأليف
كامل كيلاني

رقم إيداع ٢٠١٢/١٩٣٢٣

تدمك: ٨ ١١٢ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

كلمات عربية للترجمة والنشر

جميع الحقوق محفوظة للناشر كلمات عربية للترجمة والنشر
(شركة ذات مسئولية محدودة)

إن كلمات عربية للترجمة والنشر غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٢٧٤٣١ + فاكس: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥١ +

البريد الإلكتروني: kalimat@kalimat.org

الموقع الإلكتروني: <http://www.kalimat.org>

الغلاف: رسم ورود الصاوي.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لشركة كلمات عربية
لترجمة والنشر. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية
العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Kalimat Arabia.

All other rights related to this work are in the public domain.

لَوْلَا الصَّبَاحِ

(١) النَّهْرُ الْمُظْلِمُ

فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، وَسَالِفِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ، كَانَتْ هُنَاكَ فَتَاةٌ سَمْرَاءُ، وَجْهَهَا حَسَنُ الْمَلَامِحِ، وَقَامَتَهَا فَارِعَةُ الطُّولِ، وَرَوْحُهَا خَفِيفَةٌ مُؤَيَّسَةٌ. وَقَدْ سَمَّوْهَا مِنْذُ وُلِدَتْ: «لَوْلَا الصَّبَاحِ». عَاشَتْ الْفَتَاةُ «لَوْلَا الصَّبَاحِ» فِي رِعَايَةِ أَحْوَيْنِ لَهَا، أَحَدُهُمَا اسْمُهُ: «مَرْجَانُ»، وَالْآخَرُ اسْمُهُ: «كَهْرَمَانُ».

وَكَانَ مَقَامُ تِلْكَ الْأُسْرَةِ الطَّيِّبَةِ فِي كُوخٍ صَغِيرٍ، قَرِيبٍ مِنْ أَحَدِ الْأَنْهَارِ الْكَثِيرَةِ، فِي قَارَةِ «أَفْرِيْقِيَا» الْمَعْرُوفَةِ.

وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ النَّهْرُ نَهْرًا مُتَّسِعَ الْجَوَانِبِ، بَلْ هُوَ نَهْرٌ ضَيِّقُ الْأَنْحَاءِ، مُظْلِمُ الْأَرْجَاءِ. وَكَانَتْ تُحِيطُ بِهِ الْغَابَاتُ الْمُوحِشَةُ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهِ، فَتَكَادُ تَحْجُبُهُ عَنِ الْعُيُونِ وَتُخْفِيهِ. كَانَتْ الشَّمْسُ تَسْطَعُ فَوْقَهُ، وَلَكِنَّ الْأَشْجَارَ الْعَالِيَةَ الْمُتَزَاحِمَةَ، تَكَادُ تَمْنَعُ ضَوْءَ الشَّمْسِ أَنْ يَنْفِذَ إِلَى صَفْحَتِهِ.

فِي هَذَا النَّهْرِ كَانَتْ النَّمَاسِيحُ تَمْرُحُ، وَهِيَ أَمَنَةٌ مُطْمَئِنَّةٌ بِمَا يَسُودُهُ مِنْ هُدُوءٍ وَسُكُونٍ؛ فَلَمْ يَكُنْ يَوْمٌ هَذَا النَّهْرِ إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ، فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، يَمْرُونَ بِتِلْكَ الْبُقْعَةِ، وَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى الْجِهَةِ الَّتِي يَقْصِدُونَهَا.



(٢) الْوَطْنُ الْعَزِيزُ

وَعَلَى الرَّعْمِ مِنْ أَنَّ النَّهْرَ يَعْشَاهُ الظَّلَامُ، وَأَنَّ الشَّجَرَ يَنْمُو عَلَى شَاطِئِهِ دُونَ نِظَامٍ، كَانَتْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» لَا تَكَادُ تَشْعُرُ بِأَنَّ الْحَيَاةَ بِجَانِبِ هَذَا النَّهْرِ حَيَاةٌ غَيْرُ طَيِّبَةٍ. وَلَمْ تَكُنْ تَضْجُرُ بِالْمَنَاظِرِ الْمُوحِشَةِ مِنْ حَوَالِيهَا؛ بَلْ كَانَتْ تَحْسُ السَّعَادَةَ كُلَّهَا وَهِيَ تُقِيمُ فِي هَذِهِ الْبُقْعَةِ الْخَالِيَةِ مِنَ الصَّحْبِ وَالضُّوْءِ.

لَقَدْ وُلِدَتْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ، وَنَشَأَتْ فِي ذَلِكَ الْجَوْ؛ فَتَعَوَّدَتْ نَفْسُهَا مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ عَيْنُهَا مِنَ الْمَنَاظِرِ، وَأَصْبَحَتْ تَأْلُفُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَتَجِدُ فِيهِ عَيْشَةً رَاضِيَةً.

لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ

امْتَلَأَتْ نَفْسُ «لَوْلُوَّةِ الصَّبَاحِ» بِحُبِّ الْأَرْضِ الَّتِي قَضَتْ فِيهَا طُفُولَتَهَا وَصَبَاها، وَرَأَتْ فِيهَا جَمَالًا، وَأَحْسَتْ فِيهَا بِالسَّعَادَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ وَطَنَ الْإِنْسَانِ عَزِيزٌ عَلَيْهِ، كَيْفَمَا كَانَتْ الْحَيَاةُ فِيهِ. وَالْإِنْسَانُ لَا يَرْضَى بِوَطْنِهِ بَدِيلًا، وَإِنْ كَانَ الْبَدِيلُ أَفْضَلَ مِنْهُ.
حَقًّا كَانَتْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» فَتَاةً طَيِّبَةً، نَبِيلَةً الْمَشَاعِرِ، كَرِيمَةً الْعَوَاطِفِ. وَمَنْ طُبِعَتْ نَفْسُهُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ، يَرْتَبِطُ بِوَطْنِهِ، كَمَا يَرْتَبِطُ بِأَسْرَتِهِ، وَيُحْسُّ بِأَنَّ وَطَنَهُ جُزءٌ مِنْهُ، أَوْ أَنَّهُ هُوَ جُزءٌ مِنْ وَطْنِهِ، لَا يَنْفَصِلُ عَنْهُ.



(٣) رِحْلَةُ الْأَخْوَيْنِ

وَكَانَ أَحْوَاهَا: «مَرْجَانُ» وَ«كَهْرَمَانُ» قَدْ مَرَنَ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَى الصَّيْدِ وَالْقَنْصِ فِي الْبَرَارِيِّ وَالْأَدْغَالِ، وَلِكِنَّهُمَا كَانَا يَغْدُوَانِ فِي الصَّبَاحِ وَيَرُوحَانِ فِي الْمَسَاءِ، أَوْ يَخْرُجَانِ فِي جُنْحِ اللَّيْلِ وَيَعُودَانِ قَبْلَ مَشْرِقِ الشَّمْسِ؛ يَفْعَلَانِ ذَلِكَ طَوَّعًا لِمَا يُرِيدَانِ أَنْ يَقْتَنِسَاهُ أَوْ يَصْطَادَاهُ. فَمَنْ الصَّيْدُ مَا يُسْتَطَاعُ الْوُصُولُ إِلَيْهِ فِي وَضْحِ النَّهَارِ، وَمَنْ الصَّيْدُ مَا لَا يُمَكِّنُ الْحُصُولُ عَلَيْهِ إِلَّا تَحْتَ أَسْتَارِ الظَّلَامِ.

وَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي، جَلَسَ الْأَخْوَانِ إِلَى أُخْتِهِمَا «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ» لِيُخْبِرَاهَا بِأَنَّهُمَا قَدْ اعْتَزَمَا أَنْ يَقُومَا مَعًا بِرِحْلَةٍ صَيْدٍ، تَسْتَعْرِقُ بَضْعَةَ أَيَّامٍ وَيَبْضَعُ لَيَالٍ، وَأَنَّهُمَا سَيُعَادِرَانِ الدَّارَ فِي مَطْلَعِ الْفَجْرِ، لِلْقِيَامِ بِتِلْكَ الرِّحْلَةِ الَّتِي دَبَّرَا أَمْرَهَا، مُنْذُ وَقْتِ قَرِيبٍ. أَحْسَسَتْ «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ» بِالْأَمِّ حِينَ سَمِعَتْ هَذَا الْحَبْرَ، وَطَفَرَتْ مِنْ عَيْنَيْهَا الدُّمُوعُ، وَكَمْ تَسْتَطِيعُ مَنَعَ نَفْسَهَا مِنَ الْبُكَاءِ.

قَالَ لَهَا أَحْوَاهَا «مَرْجَانُ»: «تَجَلَّدي أَيُّهَا الْأُخْتُ الْعَزِيزَةُ.»

وَقَالَ لَهَا أَحْوَاهَا «كَهْرَمَانُ»: «لَا تَجْزَعِي لِغَيْبَتِنَا.»

قَالَتْ لَهُمَا: «كَيْفَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرَى الْقَمَرَ يَسْطَعُ فِي السَّمَاءِ مَرَّاتٍ، فِي لَيَالٍ مُتَوَالِيَاتٍ،

دُونَ أَنْ أَرَكَمَا مَعِي فِي الدَّارِ؟!»

(٤) قِصَّةُ النَّهْرِ الْفِضِّيِّ

مَالَتْ «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ» عَلَى أَحْوَيْهَا، تَقُولُ لَهُمَا، مُسْتَعْطِفَةً: «لِمَاذَا لَا تَجْعَلَانِي أَشَارِكُكُمْ فِي رِحْلَتِكُمَا الَّتِي سَتَقُومَانِ بِهَا؟»

قَالَ لَهَا «مَرْجَانُ»: «مَاذَا لَكَ مِنْ عَمَلٍ فِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ؟»

وَقَالَ لَهَا «كَهْرَمَانُ»: «هَلْ نَشْتَعِلُ بِحِمَايِكَ، أَوْ بِأَمْرِنَا؟»

قَالَتْ لَهُمَا «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ» فِي لَهْجَةِ الْمُتَوَسِّلَةِ الضَّارِعَةِ: «سَأَنْتَهزُ فُرْصَةَ هَذِهِ الرِّحْلَةِ

لَأَسْأَلَ عَنْ نَهْرٍ فِضِّيٍّ حَدَّثْتَنِي فِي شَأْنِهِ الْعَجُوزُ «أُمُّ جَعْفَرٍ» الَّتِي تَقِيمُ غَيْرَ بَعِيدٍ مِنَّا.»

قَالَ «كَهْرَمَانُ»: «لَعَلَّكَ يَا أُخْتَاهُ تَقْصِدِينَ قِصَّةَ ذَلِكَ النَّهْرِ الَّذِي يَغْتَسِلُ فِيهِ الْإِنْسَانُ

الْأَسْمَرُ، فَإِذَا هُوَ نَاصِعُ الْبَيَاضِ!»

لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ

قَالَتْ «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ»: «نَعَمْ، لَقَدْ حَدَّثْتَنِي «أُمُّ جَعْفَرٍ» أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ كَانُوا يَمْرُونَ بِذَلِكَ النَّهْرِ الْحَافِلِ بِالْأَسْرَارِ، وَهُمْ كَمَا وَلَدْتَهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ سُمُرُ الْأَجْسَامِ. فَإِذَا عَبَرُوا إِلَى الشَّاطِئِ الْأَخْرِ وَجَدُوا مَاءَهُ قَدْ غَسَلَ أَجْسَادَهُمْ، فَإِذَا هِيَ بَيَاضٌ!»
قَالَ الْأَخُّ «مَرْجَانُ»: «إِنَّ الْعَجُوزَ «أُمُّ جَعْفَرٍ» صُنْدُوقُ مَمْلُوءٌ بِأَسَاطِيرَ وَخُرَافَاتٍ، لَا يَكَادُ يُصَدِّقُهَا عَاقِلٌ ذَكِيٌّ.»
وَقَالَ الْأَخُّ «كَهْرَمَانُ»: «لَا تَخْذِعِي بِمَا قَالَتْهُ لِكَ الْعَجُوزِ.»

(٥) نَشِيدُ الصَّبَاحِ

مَا زَالَ الْأَخْوَانُ «مَرْجَانُ» وَ«كَهْرَمَانُ» بِأَخْتِهِمَا، حَتَّى أَقْعَاها بِأَنَّ تَبَقَى فِي الْبُقْعَةِ، وَأَنَّ تَعْدِلَ عَنْ رَغْبَتِهَا الشَّدِيدَةِ فِي مَرَاقَفَتِهِمَا خِلَالَ رِحْلَةِ الصَّيْدِ، وَلَمْ يَدَّخِرَا وَسْعًا فِي إِفْهَامِهَا أَنَّ قِصَّةَ «النَّهْرِ الْفِضِّيِّ» قِصَّةٌ مِنَ الْأَسَاطِيرِ الَّتِي يَحْلُو لِبَعْضِ النَّاسِ أَنْ يَخْتَرِعُوهَا، وَأَنَّ يَخْدَعُوا بِهَا بَعْضَ الْعُقُولِ السَّادِجَةِ، وَإِنْ كَانَتْ بَعِيدَةً عَنِ الْحَقِيقَةِ، لَا وَجُودَ لَهَا فِي الْوَاقِعِ الْمَشْهُودِ.

وَقَالَ «مَرْجَانُ» لِأَخِيهِ «كَهْرَمَانُ»: «هَلْ تَظُنُّ أَنَّ أُخْتَنَا «لَوْلُؤَةَ الصَّبَاحِ» قَدِ اقْتَنَعَتْ حَقًّا بِمَا قُلْنَا لَهَا، وَأَنَّ فِكْرَهَا قَدْ ذَهَبَ عَنْهُ حَيَالُ ذَلِكَ «النَّهْرِ الْفِضِّيِّ» الْمَوْهُومِ؟»
قَالَ «كَهْرَمَانُ» لِأَخِيهِ: «أَرْجُو ذَلِكَ، فَإِنَّ «لَوْلُؤَةَ الصَّبَاحِ» ذَكِيَّةٌ فَطِنَةٌ، وَإِذَا تَأَثَّرَتْ بَعْضُ التَّأَثُّرِ بِمَا تَسْمَعُ مِنَ الْقِصَصِ وَالْخُرَافَاتِ، فَإِنَّهَا سُرْعَانَ مَا تَعُودُ إِلَى الصَّوَابِ.»
وَنَامَ الْأَخْوَانُ فِتْرَةً مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ كِلَاهُمَا يَتَأَهَّبَانِ لِرِحْلَةِ الصَّيْدِ. وَكَانَ مِنْ عَادَةِ «مَرْجَانِ» أَنْ يَصْفُلَ رُمَحَهُ بِدِهَانٍ يَجْعَلُ حِدَّهُ مُرْهَفًا، وَأَنْ يُنْشِدَ الْأَرْجُوزَةَ التَّالِيَةَ، يُنَاجِي بِهَا الرُّمَحَ، وَهُوَ فَرِحٌ مُسْرُورٌ:

إِنْ رُحْتَ تَلْقَى — مَرَّةً — عَدْوًا
أَحْمَقُ، يَمْشِي تَائِبًا مَرْهُوًا
جَبَّارَ غَابٍ، أَنْسَى الْحُنُوءَا
وَأَلْهَمَ الْقُسُوءَةَ وَالْعُتُوءَا

لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ

كَأَنَّهُ اللَّيْتُ إِذَا تَقَوَّى
جَلَجَلَ، مِثْلَ الرَّعْدِ، حِينَ دَوَّى
وَعَوَّةَ الدُّنْبِ، إِذَا تَلَوَّى
كَالْأَفْعُوَانِ التَّفَّ أَوْ تَحَوَّى
فَكُنْ لَهُ — مِنْ زَهْوِهِ — شِفَاءً
وَكُنْ لَهُ — مِنْ دَائِهِ — دَوَاءً
وَأَنَّهُ عُمَرَ الْمُعْتَدِي إِنْهَاءً
وَأَقْضِ عَلَى حَيَاتِهِ قَضَاءً
وَاجْلِبْ لَهُ الْمِحْنَةَ وَالشَّقَاءَ
وَاسْتَلْهِمِ الْجِدَّةَ وَالْمَمْضَاءَ
بِشِكَّةٍ تَنْتَظِمُ الْأَحْشَاءَ
وَطَعْنَةً — فِي قَلْبِهِ — نَجْلَاءَ
تَتْرِكُهُ مُمَرِّقًا أَشْلَاءَ

(٦) وَسَاوِسُ الْعُرْلَةِ

ما كَادَتِ الشَّمْسُ تُحْيِي الكَوْنَ بِنُورِهَا، حَتَّى بَدَأَ الْأَخْوَانِ رِحْلَتَهُمَا الْمُنْشُودَةَ، الَّتِي تَسْتَمِرُّ بِضَعَةَ أَيَّامٍ وَبِضَعِ لَيَالٍ.

وَدَعَّ الْأَخْوَانِ «لَوْلُوَّةَ الصَّبَاحِ»، وَأَوْصِيَاهَا بِأَنْ تَكُونَ عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّهِمَا، فِي السُّلُوكِ الَّذِي تَتَّبِعُهُ فِي أَثْنَاءِ غَيْبَتِهِمَا.

وَمَضَى الْيَوْمَ الْأَوَّلُ، وَ«لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» وَحِيدَةٌ فِي الْكُوخِ.

وَمَا لَبِثَتْ أَنْ ضَجِرَتْ بِالْعُرْلَةِ، وَأَصْبَحَتْ كَاسِفَةَ الْبَالِ.

وَفِي صُبْحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ أَحَدَتْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» تَفَكُّرًا فِي حِكَايَةِ النَّهْرِ الْفِضِّيِّ، الَّذِي

يَجْعَلُ السَّمْرَاءَ بَيِّضَاءً، مَتَى عَبَرْتَهُ!

لَقَدْ أَكَّدَتْهُ لَهَا «أُمُّ جَعْفَرٍ»، وَهِيَ خَبِيرَةٌ بِالْحَيَاةِ، وَقَدْ عَرَفَتْ فِي عُمْرِهَا الطَّوِيلِ مَا لَا

يَعْرِفُهُ غَيْرُهَا مِنَ الشَّبَابِ، فَإِنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ إِلَّا تَجَارِبُ مَحْدُودَةٌ.

لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ

مَاذَا يَدْعُو «أُمُّ جَعْفَرٍ» إِلَى أَنْ تَكْذِبَ عَلَيْهَا، وَتَقْصَّ عَلَيْهَا قِصَّةَ خُرَافِيَّةٍ لَا أَصْلَ لَهَا؟
وَكَيْفَ لَا تَكُونُ صَادِقَةً فِي قِصَّتِهَا، وَهِيَ تَعْلَمُ أَنَّ كَذِبَهَا مَفْضُوحٌ بَعْدَ حِينٍ؟
اسْتَوْلَتْ هَذِهِ الْوَسَاوِسُ عَلَى نَفْسِ «لَوْلُوَّةِ الصَّبَاحِ»؛ فَاسْتَقَرَّ رَأْيُهَا عَلَى أَنْ تَخْرُجَ مِنَ
الْكُوْحِ، وَتَذْهَبَ لِلِقَاءِ «أُمِّ جَعْفَرٍ».



(٧) عِنْدَ «أُمِّ جَعْفَرٍ»

ذَهَبَتْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» إِلَى حَيْثُ تُقِيمُ «أُمُّ جَعْفَرٍ» الْعَجُوزُ.
اسْتَقْبَلَتْهَا الْعَجُوزُ بِحَفَاوَةٍ، وَرَحَّبَتْ بِحُضُورِهَا أَجْمَلَ تَرْحِيبٍ.
قَالَتْ لَهَا «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ»: «لَقَدْ حَضَرْتُ إِلَيْكَ، لِأَسْتَوْضِحَ مِنْكَ شَأْنَ «النَّهْرِ الْفِضِّيِّ»
الَّذِي حَدَّثْتَنِي عَنْهُ، وَشَوَّقْتَنِي إِلَيْهِ».
قَالَتْ لَهَا «أُمُّ جَعْفَرٍ»: «إِنَّهُ يَا بُنَيَّتِي نَهْرٌ بَعِيدٌ، يَجْرِي وَرَاءَ تِلْكَ الْغَابَةِ الْكَبِيرَةِ
الْفَسِيحَةِ! وَقَدْ وَصَلَ إِلَيْهِ أَنَاسٌ كَثِيرُونَ، وَهُمْ سُمِرُ الْأَجْسَامِ، مِثْلِي وَمِثْلِكَ، فَلَمَّا اغْتَسَلُوا
فِي مَائِهِ أَصْبَحُوا — مِنْ بَعْدُ — بِيضًا، وَزَالَ عَنْهُمْ لَوْنُهُمُ الْأَسْمَرُ».
قَالَتْ لَهَا الْفَتَاةُ: «مَنْ أَيْنَ عَلِمْتَ بِهَذَا النَّهْرِ يَا أُمَاهُ؟ هَلْ رَأَيْتِ النَّاسَ الْبَيْضَ الَّذِينَ
مَرُّوا بِهِ، وَاعْتَسَلُوا فِي مَائِهِ؟»

قَالَتْ لَهَا «أُمُّ جَعْفَرٍ»: «لَا أَكْذِبُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَاهُ. لَمْ أَرِ «النَّهْرَ الْفِضِّيَّ»، وَلَمْ أَلْتَقِ بِمَنْ
وَصَلَ إِلَيْهِ، لَقَدْ سَمِعْتُ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ «فَارِسِ الْغَابَةِ» الْمَقِيمِ فِي مَكَانٍ قَرِيبٍ. وَطَالَمَا
حَاوَلْتُ إِفْنَاعِي بِالذَّهَابِ مَعَهُ إِلَى النَّهْرِ، فَلَمْ أُوَافِقْ، لِأَنِّي لَا أُرِيدُ تَغْيِيرَ لَوْنِي».
عَزَمَتْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» عَلَى أَنْ تَبْحَثَ عَنْ «فَارِسِ الْغَابَةِ»، لِكَيْ يُحَقِّقَ حُلْمَهَا فِي
الْوُصُولِ إِلَى «النَّهْرِ الْفِضِّيِّ» الْعَظِيمِ.

(٨) عِنْدَ «فَارِسِ الْغَابَةِ»

خَرَجَتْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» مِنْ عِنْدِ «أُمِّ جَعْفَرٍ»، قَاصِدَةً الْمَكَانَ الَّذِي وَصَفْنَتْ لَهَا، حَتَّى
تَلْقَى فِيهِ «فَارِسَ الْغَابَةِ»، الْحَبِيرَ بِمَوْعِ «النَّهْرِ الْفِضِّيِّ» الْعَجِيبِ، لِكَيْ يَدُلَّهَا عَلَيْهِ.
بَعْدَ سَيْرٍ طَوِيلٍ، بَيْنَ الْأَشْجَارِ الْعَالِيَةِ، وَالْأَعْشَابِ الْكَثِيفَةِ، سَمِعَتْ صَوْتًا يَقُولُ: «مَنْ
ذَلِكَ الَّذِي يَمْشِي فِي أَرْضِي؟»
صَاحَتْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ»: «إِنْ كُنْتُ «فَارِسَ الْغَابَةِ»؛ فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَلْقَاكَ، لِأَتَحَدَّثَ
إِلَيْكَ فِي شَأْنِ «النَّهْرِ الْفِضِّيِّ»».

لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ

بَرَزَ لَهَا «فَارِسُ الْغَابَةِ»، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ فَارِعُ الْقَامَةِ، مَتِينُ الْعَضَلَاتِ، عَلَيْهِ دَلَائِلُ الْقُوَّةِ، وَمَا كَادَ يَرَاهَا فَتَاءً فِي مُقْتَبَلِ الشَّبَابِ، حَتَّى سَرَّهُ مَرَاهَا، فَاقْتَرَبَ مِنْهَا وَحَيَّاهَا. قَالَ لَهَا: «مَنْ ذَلِكَ عَلَيَّ؟ وَمَاذَا تَبْعِينَ مِنَ النَّهْرِ الْفِضِّيِّ؟»
أَخْبَرْتَهُ بِمَا دَارَ مِنْ حَدِيثِ بَيْنِهَا وَبَيْنَ الْعَجُوزِ «أُمُّ جَعْفَرٍ»، وَأَنَّهَا دَلَّتْهَا عَلَيْهِ، وَأَبَدَتْ لَهُ رَغَبَتَهَا فِي أَنْ يَصِلَ بِهَا إِلَى «النَّهْرِ الْفِضِّيِّ»، لِتَعْبُرَهُ، وَتَغْتَسِلَ فِيهِ، حَتَّى تَعُودَ بِيَضَاءٍ. هَزَّ «فَارِسُ الْغَابَةِ» رَأْسَهُ لِلْفَتَاةِ، وَأَبْدَى لَهَا أَنَّهُ مُسْتَعِدٌّ لِتَحْقِيقِ مَا رَغِبَتْ فِيهِ، عَنْ سَمَاحَةِ نَفْسِ، وَطِيبِ خَاطِرٍ.

(٩) شُرُوطُ «فَارِسِ الْغَابَةِ»

جَلَسَتْ «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ» تَسْتَرِيحُ فِي كُوخِ «فَارِسِ الْغَابَةِ»، وَقَدِ اخْتَارَهُ فِي أَرْضِ طَبِيبَةٍ، تَكْسُوهَا الْأَزْهَارُ النَّضْرَةَ.

بَعْدَ قَلِيلٍ أَقْبَلَ عَلَيْهَا يَقُولُ لَهَا: «مَا اسْمُكَ؟»

أَجَابَتْهُ عَلَى الْفُورِ، فِي غَيْرِ تَرَدُّدٍ: «اسْمِي لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ».

قَالَ لَهَا: «كَيْفَ تَرَيْنَنِي فِي نَظْرِكَ، أَيَّتْهَا الْفَتَاةُ الطَّيِّبَةُ؟»

قَالَتْ لَهُ: «لَقَدْ أَحْسَنْتَ اسْتِقْبَالِي، وَرَحَّبْتَ بِطَلْبَتِي، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّكَ رَجُلٌ كَرِيمٌ الْخَلْقِ، حَسَنُ الْمُعَامَلَةِ.»

قَالَ لَهَا: «هَلْ تُعَارِضِينَ فِي أَنْ أَكُونَ زَوْجًا لَكَ إِذَنْ؟»

قَالَتْ لَهُ: «لَقَدْ جِئْتُكَ لِتَصَلَ بِي إِلَى النَّهْرِ الْفِضِّيِّ.»

قَالَ لَهَا: «إِنِّي أَخْطُبُكَ إِلَى نَفْسِكَ، لِكَيْ أَحَقِّقَ لَكَ كُلَّ مَا تَرَعِبِينَ فِيهِ، دُونَ أَنْ أَعْصِيَ لَكَ أَمْرًا.»

قَالَتْ لَهُ: «الْحَدِيثُ فِي أَمْرِ الزَّوْجِ مَوْقُوفٌ عَلَى مُوَافَقَةِ أَحْوِيٍّ: «مَرْجَانٌ» وَ«كَهْرَمَانٌ». أَلَا تَعْرِفُهُمَا؟»

قَالَ لَهَا: «لَمْ أَسْمَعْ بِاسْمَيْهِمَا مِنْ قَبْلُ، وَلَعَلِّي رَأَيْتُهُمَا.»

قَالَتْ لَهُ: «نُؤَجِّلُ الْكَلَامَ فِي مَوْضُوعِ الزَّوْجِ، حَتَّى نَلْقَى أَحْوِيٍّ، وَأَرْجُو مِنْكَ أَلَّا تُحَدِّثَنِي فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ بَعْدَ الْآنَ.»



(١٠) الطَّاهِيَّةُ الْمَاهِرَةُ

لَمْ يَجِدْ «فَارِسُ الْغَابَةِ» بُدًّا مِنَ الْإِذْعَانِ لِقَوْلِ «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ».
 رَأَى أَلَّا يُفَاتِحَهَا مِنْ بَعْدُ فِي مَوْضُوعِ الزَّوْاجِ، مُكْتَفِيًا مِنْهَا بِأَنَّهَا تَعِيشُ فِي كُوْحِهِ،
 وَتَقُومُ بِخِدْمَتِهِ، وَتَهْبِيءُ لَهُ عَيْشَةً رَاضِيَةً.
 كَانَتْ «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ» طَاهِيَّةً مَاهِرَةً، فَكَانَ «فَارِسُ الْغَابَةِ» يَخْرُجُ — كُلَّ يَوْمٍ —
 يَصْطَادُ مَا يَتَقَوَّى بِهِ؛ مِنَ النَّهْرِ سَمَكًا، وَمِنَ الْغَابَةِ أَرْنَبًا بَرِّيًّا، أَوْ غَزَالًا، أَوْ ظَبِيَّةً.
 لَقَدْ اسْتَمْتَعَ «فَارِسُ الْغَابَةِ» بِطَعَامٍ لَمْ يَسْتَمْتِعْ بِهِ فِيمَا مَضَى مِنْ عُمْرِهِ، إِذْ كَانَتْ
 «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ» تَتَفَنَّنُ فِي طَهْيِ مَا يُحْضِرُهُ لَهَا مِنَ الصَّيْدِ، لِكَيْ يَكُونَ شَهِيًّا الْمَذَاقِ.

لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ

وَمَضَتْ عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا، وَكُلَّمَا سَأَلَتْ «لَوْلُؤَةَ الصَّبَاحِ»: «مَتَى نَبْدَأُ رِحْلَتَنَا إِلَى «النَّهْرِ
الْفِضِّيِّ» يَا «فَارِسَ الْغَابِيَةِ»؟
أَجَابَهَا بِقَوْلِهِ: «النَّهْرُ الْفِضِّيُّ لَا يَكُونُ فِضِّيًّا يُعْطِي سِحْرَهُ الْعَجِيبَ لِمَنْ يَغْبِرُّهُ
وَيَعْتَسِلُ فِيهِ، إِلَّا حِينَ يَكْسُوهُ ضَوْءُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ التَّمَامِ، وَسَيَحِينُ مَوْعِدُهَا، فَلَا تَعْجَلِي!»
فَلَا تَمْلِكُ «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ» إِلَّا الْإِنْتِظَارَ، عَلَى مَضَضٍ، وَهِيَ تَأْمَلُ أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ عَلَيْهَا
مِنْ فَضْلِهِ بِالْفَرَجِ الْقَرِيبِ.



(١١) قَلِقَ «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ»

تَعَوَّدَ «فَارِسُ الْغَابَةِ» هَذِهِ الْحَيَاةَ الْجَدِيدَةَ، الَّتِي يَحْيَاهَا فِي صُحْبَةِ الْفَتَاةِ الْوَدِيعَةِ «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ».

يَخْرُجُ صَبَاحَ كُلِّ يَوْمٍ لِيَصْطَادَ الْغَزْلَانَ أَوْ الْأَرَانِبَ مِنْ مَسَارِهَا فِي السُّهُولِ وَالْأَوْدِيَةِ، أَوْ يَأْتِي مِنْ صَيْدِ النَّهْرِ بِمَا يَتَيَسَّرُ لَهُ، لِكَيْ يَنْعَمَ بِهِ طَعَامًا شَهِيًّا، أَنْصَجَتْهُ «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ».

أَمَّا هِيَ، فَكَانَتْ تَقْضِي يَوْمَهَا بَيْنَ إِنْصَاجِ الطَّعَامِ، وَرِعَايَةِ الْأَزْهَارِ، وَهِيَ مَشْغُولَةٌ الذَّهْنِ، لَا تَدْرِي مَصِيرَهَا.

وَكَانَتْ «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ» تَخْتَلِسُ مِنْ وَقْتِهَا سَاعَةً أَوْ بَعْضَ سَاعَةٍ، لِكَيْ تَخْرُجَ إِلَى الْعِرَاءِ، تُجِيلُ بَصَرَهَا فِي كُلِّ الْأَرْجَاءِ، لَعَلَّهَا تَجِدُ أَحَدًا يُفَرِّجُ كُرْبَتَهَا، أَوْ يَحُلُّ عُقْدَتَهَا.

لَقَدْ أَرْهَقَهَا النَّفْكَيرُ، فَشَحَبَ لَوْنُهَا، وَهَزَلَ جِسْمُهَا، وَبَدَأَ عَلَيْهَا الْإِغْيَاءُ، فَلَمْ تَعُدْ تَقْوَى عَلَى مُوَاصَلَةِ الْعَمَلِ وَالنَّشَاطِ؛ فَتَرَاحَتْ فِي الْقِيَامِ بِمَا كَانَتْ تَقُومُ بِهِ فِي الْكُوخِ.

وَأَنْكَرَ ذَلِكَ مِنْهَا «فَارِسُ الْغَابَةِ»، فَحَمَلَهَا إِلَى شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ الْكُوخِ، وَرَبَطَهَا بَيْنَ أَغْصَانِهَا، تَعْذِيبًا لَهَا.

وَتَرَكَهَا قَائِلًا: «سَتَرَيْنَ عَذَابًا أَشَدَّ، إِذَا لَمْ تُذْعِنِي لِأَمْرِي!»



(١٢) مَقْدَمُ الْأَخْوَيْنِ

لَمَّا رَجَعَ «مَرْجَانُ» وَأَخُوهُ «كَهْرَمَانُ» مِنْ رِحْلَتِهِمَا، لَمْ يَجِدَا أُخْتَهُمَا «لُؤْلُؤَةَ الصَّبَاحِ» كَمَا تَرَكَاهَا فِي الْكُوخِ، فَاشْتَدَّتْ دَهْشَتُهُمَا، وَمَلَأَ الدُّعْرُ قَلْبَهُمَا! وَمَا أَسْرَعَ أَنْ تَذَكَّرَا حَدِيثَ «لُؤْلُؤَةَ الصَّبَاحِ» عَنِ «النَّهْرِ الْفِضِيِّ»، وَمَا قَالَتْهُ لَهَا «أُمَّ جَعْفَرٍ» فِي شَأْنِ ذَلِكَ النَّهْرِ، فَذَهَبَا عَلَى الْفَوْرِ إِلَى كُوخِهَا؛ فَأَقْسَمَتِ الْعَجُوزُ لِلْأَخْوَيْنِ أَنَّهَا لَا تَعْرِفُ مَصِيرَ «لُؤْلُؤَةَ الصَّبَاحِ»، وَكُلُّ مَا تَعَلَّمَتْ أَنَّهَا خَرَجَتْ تَبَحُّثُ عَنْ «فَارِسِ الْغَابَةِ»، لِيَمَكِّنَهَا مِنَ الْوُصُولِ إِلَى «النَّهْرِ الْفِضِيِّ».

لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ

وَمَا زَالَ الْأَخْوَانِ، يَطْوِيَانِ أَرْضَ الْعَابَةِ، وَيَجُوسَانِ خِلَالَ أَشْجَارِهَا، وَيَنْفِذَانِ هُنَا وَهُنَاكَ إِلَى مَسَارِبِهَا، حَتَّى سَمِعَ «مَرْجَانُ» أُنِينًا عَلَى بُعْدٍ، فَتَبَيَّنَ فِيهِ صَوْتَ أُخْتِهِ «لَوْلُؤَةَ الصَّبَاحِ».

سَارَعَ الْأَخْوَانُ يَجْرِيَانِ عَلَى هَدْيِ ذَلِكَ الصَّوْتِ، حَتَّى رَأَتْهُمَا «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ»، وَهِيَ مُعَلَّقَةٌ فِي أَغْصَانِ الشَّجَرَةِ الْعَالِيَةِ.

مَا كَادَتْ «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ» تَلْفَاهُمَا حَتَّى التَّقَطَّتْ أَنْفَاسَهَا، وَكَانَتْ عَلَى وَشِكِ الْإِحْتِنَاقِ، وَلَمْ يَشْغَلَا أَنْفُسَهُمَا بِسُؤَالِهَا عَمَّا جَرَى لَهَا، بَلْ كَانَ شُغْلُهُمَا إِنْقَادَهَا مِمَّا هِيَ فِيهِ مِنْ عَذَابٍ.

(١٣) نَشِيدُ الصَّخْرِ

تَابَعَتِ الْأُسْرَةَ سَيْرَهَا، مُتَّخِذَةً طَرِيقًا غَيْرَ الطَّرِيقِ الْمَأْلُوفِ، لِكَيْ تَنْجُوَ مِنَ الْهُجُومِ وَالْعُدْوَانِ، وَتَبْلُغَ أَرْضَهَا فِي أَمَانٍ.

وَكَانَ الطَّرِيقُ الَّذِي اخْتَارَتْهُ الْأُسْرَةُ مُلْتَوِيًا ضَيِّقًا، مَمْلُوءًا بِالصَّخُورِ الضَّخَامِ، وَالْأَحْجَارِ الْكِبَارِ. وَلَمْ تَكُنِ الْأُسْرَةُ تَعْرِفُ: أَيْنَ يَنْتَهِي بِهَا ذَلِكَ الطَّرِيقُ؟ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَجِدْ غَيْرَهُ وَسِيلَةً لِلْخَلَاصِ.

وَهُنَاكَ وَقَفَ «مَرْجَانُ» يَتَرَنَّمُ بِنَشِيدِ الصَّخْرِ، حَتَّى يَجِدَ فِيهِ هُوَ وَأَخُوهُ وَأُخْتُهُ أَنْسَاءً، وَهُمْ يَسِيرُونَ:

«لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ» جَاءَتْ شَاكِيَةً
إِلَيْكَ يَا صَخْرَ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ
صَارِخَةً مِنَ الزَّمَانِ بَاكِئَةً
وَهِيَ تُرْجِي - فِي حِمَاكَ - الْعَافِيَةَ

* * *

أَقْسَمْتُ يَا صَخْرَ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ:
عَلَيْكَ بِالْأَزْهَارِ وَهِيَ نَامِيَةٌ

لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ

وَبِالطُّيُورِ فِي الْغُصُونِ شَادِيَهُ

أَقْسَمْتُ يَا صَخْرَ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ
بِالزَّهْرِ وَالرَّيْحَانِ، فَوْقَ الرَّابِيَةِ
وَحَوْلَ أَنْهَارِ الْمُرُوجِ الصَّافِيَةِ

أَقْسَمْتُ يَا صَخْرَ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ
بِالكَرْمِ، يُزْهِى بِالْقُطُوفِ الدَّانِيَةِ
وَبِالْوُرُودِ، فِي الرِّيَاضِ الْحَالِيَةِ
رَتَّلَ فِيهَا بُلْبُلٌ أَغَانِيَهُ

أَقْسَمْتُ يَا صَخْرَ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ
بِالْبَدْرِ، يَجْلُو الظُّلُمَاتِ الدَّاجِيَةِ
مُنُورًا، بَيْنَ النُّجُومِ الزَّاهِيَةِ

أَقْسَمْتُ يَا صَخْرَ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ:
أَنَّ تَقْهَرَ الْخَضَمَ الَّذِي وَرَائِيَهُ
وَتَفْتَحَ الصَّخْرَ الَّذِي أَمَامِيَهُ
لَعَلَّنَا نَبْلُغُ تِلْكَ النَّاجِيَةَ

لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ

فِي مَأْمَنِ مِنَ الْخُطُوبِ الْعَادِيَةِ



(١٤) بَيَاضُ الْقُلُوبِ

تَابَعَ الْأَخْوَانَ «مَرْجَانُ» وَ«كَهْرَمَانُ» سَيْرَهُمَا، وَمَعَهُمَا أُخْتُهُمَا «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ»، إِلَى مَوْطِنِهِمُ الْعَزِيزِ، فَجَلَسَ الْأَخْوَانَ مَعَهَا، يَسْتَوْضِحَانِهَا مَا حَدَّثَ لَهَا، بَعْدَ غَيْبَتِهِمَا فِي رِحْلَةِ الصَّيْدِ.

لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ

فَلَمْ تُخْفِ عَنْهُمَا شَيْئًا، وَكَانَتْ صَادِقَةً فِي حِكَايَةِ مَا جَرَى، مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهَا أَخْطَأَتْ
فِيمَا أَقْدَمَتْ عَلَيْهِ، نَادِمَةً عَلَى مَا فَعَلَتْ أَشَدَّ النَّدَمِ، مُعْتَزِمَةً أَلَّا تَعُودَ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْخَطَأِ
مَرَّةً أُخْرَى.

وَلَكِنَّهَا مَعَ ذَلِكَ قَالَتْ لِأَخْوَيْهَا: «لَا بُدَّ لَنَا مِنَ الْبَحْثِ عَنِ «النَّهْرِ الْفِضِّي» الَّذِي نَغْتَسِلُ
فِيهِ، لِنُصْبِحَ فِي عِدَادِ الْبَيْضِ!»

فَبَادَرَ أَحْوَهَا «مَرْجَانُ» يَقُولُ لَهَا: «مَاذَا يَعْيبُكَ يَا أُخْتَاهُ، إِذَا لَمْ تَكُونِي بَبَيْضَاءَ؟
لَيْسَ فِي بَيَاضِ اللَّوْنِ شَرَفٌ لِلْإِنْسَانِ. إِنَّمَا الشَّرَفُ الرَّفِيعُ بَيَاضُ الْقَلْبِ، وَصَفَاءُ النَّفْسِ،
وَجَمَالُ الْخُلُقِ.»

وَقَالَ لَهَا «كَهْرَمَانُ»: «لَا تَشْغَلِي بِاللِّكِّ بِالْخُرَافَاتِ، وَلَا تَلْقِي سَمْعَكَ لِلْأَوْهَامِ. لَقَدْ
أَخْطَأْتَ حَقًّا، وَلَكِنَّكَ حَفِظْتِ كَرَامَتِكَ، وَكُتِبَتْ لِكَ السَّلَامَةُ وَالنَّجَاةُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.»
وَلَمْ تَعُدْ «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ» — فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ — تَبَحُّثَ عَنِ النَّهْرِ الْخُرَافِيِّ الْمَوْهُومِ،
الَّذِي يُجِئُ سَوَادَ الْأَجْسَامِ إِلَى بَيَاضٍ.

يُجَابُ مِمَّا فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ عَنِ الْأَسْئَلَةِ الْآتِيَةِ:

- (س ١) أين كانت تقيم أسرة «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ»؟
ولماذا لم يكن يمرُّ بتلك البُقعة إلا قليلٌ من الناس؟
- (س ٢) لماذا أحببت «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ» الأرض التي وُلدت فيها؟
- (س ٣) متى كان الأخوان «مَرْجَانُ» و«كَهْرَمَانُ» يخرجان للصيد والقنص؟
وماذا دار بين «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ» وأخويها، وهما يعتزمان القيامَ برحلة؟
- (س ٤) ما هي القصة التي تحدتت بها «أُمُّ جَعْفَرٍ» إلى «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ»؟
- (س ٥) كيف أقنع الأخوان «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ» بالعدول عن الرغبة في مرافقتيها؟
وماذا كانت عادة «مَرْجَانِ» حين يتأهب للصيد؟
- (س ٦) ماذا كان شعور الفتاة بعد سفر أخويها؟ وعلى أي شيء استقر رأيها؟
- (س ٧) من أين علمت «أُمُّ جَعْفَرٍ» بقصة «النَّهْرِ الْفِضِّي»؟
- (س ٨) ماذا طلبت «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ» من «فَارِسِ الْغَابَةِ»؟

لَوْلُوهُ الصَّبَاحِ

- (س٩) ماذا طلبَ «فارسُ الغابة» من «لؤلؤة الصَّبَاحِ»؟ وبماذا أجابته؟
- (س١٠) ما هي العيشةُ الرَّاضِيَةُ التي هيأتها «لؤلؤة الصَّبَاحِ» لـ«فارسِ الغابة»؟ وماذا كان يُجيب «فارسُ الغابة» إذا سألته عن مَوْعدِ بَدْءِ الرَّحْلةِ؟
- (س١١) كيف كانت حالُ الفتاةِ بعد أن طالَ انتِظارُها؟ وماذا صنعَ بها «فارسُ الغابة»؟
- (س١٢) أين ذهب الأخوانِ حينَ رجعا فلم يجدا أختَهما؟ وماذا فعلا بعد ذلك؟
- (س١٣) كيف كان طريقُ الأُسرةِ للعودةِ؟ وما اسمُ النَشيدِ الذي تغنّى به «مَرْجانُ»؟
- (س١٤) كيف اقتنعت «لؤلؤة الصَّبَاحِ» بِحَظِّها حينَ رَغِبَتْ في تغييرِ لونها؟